رجل لكل الأزمان

ما بين الميلاد والموت ، نعيش متعلقين بأذيال الحياة ... تلك قصه لواقعية الحياة بكل ما فيها من تناقضات .. ما أروع الأحلام حين تتحول إلى واقع ملموس، هكذا تبادر إلى ذهنه وهو يستمع إلى كلمات التهنئة من الموظفين حوله.. فقد أصبح وكيل الوزارة الجديد، شكرهم وطلب منهم أن يعودوا إلى مكاتبهم...

ووقف في نافذته يراقب وكيل الوزارة السابق وهو يركب سيارته وتذكر كلماته المستفزة (اليوم أرحل وغدا تلحق بي فلا تغتر كثيراً، واعلم أنك وصلت لما أنت فيه بدهائك لا بكفاءتك.. وتذكر إنك لست بعملة نادرة في هذا الزمان)

رحل وكلماته ترن في فضاء الحجرة.. ولكنه يعرف قواعد اللعبة فلم يهتم ..

وراحت تتزاحم الذكريات وتتدفق إلى عقله بغزارة، وتذكر ذلك اليوم الذي غير مجرى حياته، إذ وصل لعلمه أن هناك بعض الترقيات في الوزارة.. وراح يمني نفسه أن يكون من النخبة المختارة للسفر للعاصمة فهناك يستطيع أن يحقق أحلامه التي طالما راودته وراح يسعى جاهدا لتحقيقها، نعم هو بقريته مهاب فهو في المجلس المحلى ولكن في الوزارة سيكون في الصدارة وفي مركز القرار.. راحت تموج في راسه الأماني كالبحر المتلاطم وراح ينسج ألف حلم وألف امنية.. وتذكر يوم أكدوا له الخبر بترقيته وكيف أصابه الوجوم.. أهذا معقول ؟! أن تتحقق الأحلام بتلك السرعة ... فبعد ان تمت ترقية رئيسه من مدير عام إلى وكيل وزارة.. اختاره معه.. وكانت تلك الخطوة الاولى..

وتذكر يوم أخبر زوجته.. أطلقت الزغاريد ولكنها راحت تكيل له النصائح وتدعو له قائلة:

كفاك الله شر المناصب وابعد عنك الطمع وكل عين حاسد...

وابتسم بينه وبين نفسه أي شر.. وراحت شياطين الطمع وشهوة السلطة تلتهم آخر ما تبقى في عقله من ضمير..

وأسمال الفضيلة التي كان يتسربل بها امام أهل القرية راحت تتساقط لتكشف عورات نفسه أمام ذاته فلم يهتم..

الآن سيبدأ سلم الصعود للقمة أما تلك الكلمات الجوفاء عن الضمير والفضيلة لا تسمن ولا تغني من جوع تنهد وخرج يراقب الحياة الرتيبة للقرية ... ويحدث نفسه:

- لا اعرف ما الجمال في هذا الأخضر الممتد على مرمى البصر. متى اتخلص من تلك الرتابة متى أغوص بحياة المدينة بكل ما فيها من صخب وسمر والأهم الفرص..

وأقسم سيقتنص كل فرصة تسنح له...

والتفت وجد زوجته تراقبه سألته بتعجب ما بالك شارد الزهن؟

لم يجب .. وتركها وسار بخطوات نشيطة مبتعدا.... وقد اتخذ القرار.. هذه الزوجة لا تصلح لحياة المدينة ستبقى هنا بالقرية هي وأبنائه...

واستفاق من شروده على رنين الهاتف..

ونظر أنها زوجته الجديدة الجميلة الراقية.. والتي تناسب المرحلة الحالية...

وأجابها.. نعم.. عندنا حفلة سنذهب سويا استعدى في الثامنة ...

وفكر ... غدا أو بعد غدا أخبر زوجتي الاخرى عن الترقية الجديدة..

فانا لا أعرف متى تدور الدائرة سأستمتع بكل لحظة.. وابتسم لمساعده الجديد وهو يكيل له المديح وقد انتفخت اوداجه..

فاليوم كانت البداية.. للخطوة الجديدة.. تلك الحفلة أقامها له بعض رجال الأعمال بمناسبة ترقيته وصل هو وزوجته الجديدة يختال كالطاووس .. متخذا قراره بأن يصل إلى القمة.. فقد كان مبدأه الغاية تبرر الوسيلة...

وراح يخطط للمرحلة التالية أن يصبح وزيرا أو عضوا في مجلس الشعب ولكن هذا يحتاج ألى خطه هادئة وذكية وكذلك يحتاج إلى الكثير من المال

الدخل الحالي أصبح لا يكفى .. وأصبح يقوم بأداء خدمات مقابل المال أو الهدايا العينية ولكن ليس أي هدايا ..

وراحت تمور في رأسه الافكار وتداعبه الأحلام

راح يتلمس الطريق ليتسلل إلى عالم المال والأعمال وكانت البداية ..

كانت له رحله للخارج طلب منه صديق أن يحمل معه هديه إلى صديق لأنه لن يتم تفتيشه فهو شخصيه مرموقة وعلى أن يعطيه مبلغا كبيرا من المال وذكر له مبلغ لم يحلم به.

لم يهتم بالسؤال ونفذ الطلب واصبحت كل رحلة مصحوبه بمبلغ ضخم من المال وبعض الهدايا القيمة لزوجته

واستكان بين ذراعي الطمع ولم يحاول التفكير.. عاش اللحظة بكل ما فيها

ولا يعرف كيف سقط من حسابه زوجته الأولى وأبنائه لم يشركهم في كل تلك الحياه المترفة ولا هذا الصعود ..

كان يرسل لهم المال وكذلك اشترى بعض الأراضي بأسماء أبنائه ليهرب من المساءلة وليس حبا فيهم ...

وذات يوم علم انه أصبح مرشحا من قبل البعض لدخول انتخابات مجلس الشعب

وكانت فرحة لا توصف .. وفاز بالانتخابات

واصبح ثعلبا في غابه تسكنها الضواري .. وعاش حلم الثراء بكل تفاصيله..

وذات يوم طلبت زوجته الأولى الطلاق وهددته إن لم ينفذ طلبها ستقوم بالتشهير به وستستعمل كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة .. كانت طعنه لكبريائه ..

نفذ طلبها على مضض فكل ما يشغله تلك الأرض المكتوبة لأبنائه وكيف يستردها .. وأصبح أكثر شراهة للمال والسلطة ..

وراح يقوم بتوصيل المخدرات من الحدود إلى العاصمة في سيارته فهو شخصية معروفة.. لم يتعرض ولا مرة للتفتيش يكفي أن يعرفوا هويته حتى تفتح له كل الأبواب ... حتى كانت الصدفة القاتلة..

إذ في نفق العبور كانت هناك الكلاب المدربة على رائحة المخدرات تمكنت من شمه وتم تفتيش السيارة وعثروا معه على كميه من المخدرات وتم القبض عليه..

وكان السقوط المريع .. وكما هي العادة هرب الأصدقاء المنتفعين وكذلك الزوجة الصغيرة فقد اكتفت منه واخذت تبحث عن صيد جديد ..

أما هو فقد عاش حياة السجون ..

آه لو أنه استمع إلى صوت ضحكات القدر لأصابه الفزع.. وراح يراجع رحلتي الصعود والهبوط ويفكر..

شاقه هي رحلات الصعود.. مدويه رحلات الهبوط تسقط معها كل الأقنعة..